البطريرك مخايل فاضل ونسبه

بقلم المونسنيور يوسف زياده (*)

لقد تضاربت الآرا. بشأن البطريرك مخايل فاضل هل هو الخوري مخايل القرطاوي الذي حضر المجمع اللبناني كلاهوتي وذكره هذا المجمع في (ص٢٦) من الترجمة العربية هكذا :

« الخوري مخايل القرطي » .

وذكره في (ص ٣٠) هكذا :

« مخايل من قرطبة تلميذ المدرسة المارونية وخوري بيروت » .

والذي وقع امضاءه في (ص ٥٥٨) هكذا :

« مخايل القرطبي تلميذ مدرسة المارونية برومية سابقاً وخادم كنيسة بيروت ».

ام انه غير ذاك ؟

فذهب القس اغوسطين سالم الى ان البطريرك فاضل هو نفسه الخوري مخايل القرطاوي واجتهد في اثبات ذلك[1] .

ولما كان البعض يدعون العكس رأينا ، مع قصر الباع ، ان نبحث هذا الامر ليس لمجلبة فخر ، وكسب اجر بل لمجرد جلاء حقيقة .

١ً : ان الخوري لويس الهاشم صاحب تاريخ العاقورا اتى على ذكر الخوري مخايل القرطباوي خادم رعية بيروت بما نصه[2] :

« اخذت عائلة السخن من حصيا الجرد الى قرطبا واستوطنتها واشادت كنيسة مار الياس وغت غوًا كبيرًا حتى بلغت الآن نصف البلدة عدًا وهي ذات فروع عديدة تتحدر من ثلاثة فروع كبيرة وهي بيت غصيبة وبيت عزيز وبيت سابا فمن هذه العشرة نشأ قديمًا العلامة الخوري مخايل القرطباوي خوري ببيروت » .

ولكنه لما تكلم عن البطريرك مخايل فاضل وضع عنوانًا ضخمًا :

« البطريرك ميخائيل فاضل البيروتي مولدًا والعاقوري اصلًا » .

---

١) خواطر الجنان سنة ١٩٣٩ ص ١٤٦

٢) تاريخ العاقورا سنة ١٩٣٠ ص ٣٥٩

واكتفى بقوله :

«تأدب المترجم به في رومة العظمى وحرج منها خطيباً فقيهاً مدققاً وكان من طبعه سياسياً محنكاً ونضلع من النفقة الخفي حتى اصبحت فتاويه دستوراً للقضاة ونظاماً للحكام فاتخذه البطريرك سمعان عواد كاتباً لاسراره وكان يوكل اليه كل امر هام ففي حزيران سنة ١٧٥٠ انتدبه فاحصاً زهبانية هندية بكركي»[1] .

غير انه لم يذكر تاريخ مولده ولا تاريخ ذهابه الى رومة ولا تاريخ رجوعه منها مما يدل على انه كبعض الكتبة يكتفي بالمسموع والمنقول ، او ان جل همه ان يجعله من الماثورا .

٢ : وكتب الاب ابراهيم حرفوش في مجلة المنارة ما يلي :

«ورد في مذكرة البطريرك بولس مسعد : «رجع غبايل فاضل بن رومية في ٢٦ حزيران سنة ١٧٤٠ وفي ١٣ تموز سنة ١٧٤٠ رسمه كاهناً البطريرك يوسف ضرغام الخازن الذي ارسله الى عكا لاجل عمار الكنيسة ورسمه بردوطاً على كنيسة عكا المطران جبرايل عواد وفي ٤ ت ١ سنة ١٧٥٣ استدعاه البطريرك سمعان عواد الى بيروت فعمّر كنيسة بيروت مبتدئاً في ٢٥ حزيران سنة ١٧٥٤ وانتهى منها سنة ١٧٥٥ وتسلم دير حراش في اول ايلول سنة ١٧٥٨ لحد سنة ١٧٦٢ التي بها ارتسم مطراناً على بيروت ووكيلاً على الكرسي البطريركي من البطريرك طوبيا الخازن في كنيسة بيروت[2] » .

٣ : وقال المرحوم الخوري اسطفان بشعلاني :

«وُلد غبايل فاضل في بيروت حوالي سنة ١٧١٠ على الاصح وارسل الى رومة العظمى حيث تلقى العلوم والمعارف وعاد الى الشرق في ٢٦ حزيران سنة ١٧٤٠ وفي ٢١ تموز من هذه السنة رسمه البطريرك يوسف ضرغام الخازن كاهناً وارسله الى عكا فانشأ في هذه المدينة كنيسة ومركزاً لاقتاً بطائفته التي سعى بجمع شتاتها بعد التعب والجهد وقد رقاه المطران جبرايل عواد سنة ١٧٥٣ الى رتبة بردبوط ، ولكن السلطة الكنسية اعادته الى بيروت حيث شرع بتجديد كنيستها المؤسسة على اسم القديس جرجس وذلك سنة ١٧٥٥ ثم اقيم رئيساً على دير حراش سنة ١٧٥٩ وفي ١١ حزيران سنة ١٧٦٢ رقاه البطريرك طوبيا الخازن الى المقام الاسقفي . . . واخيراً انتخب بطريركاً على الموارنة في ١٠ ايلول سنة ١٧٩٣ ونزل به القضاء المحتوم في ١٧ ايار سنة ١٧٩٥ » .

---

١) ص ٢٢٨ ، وما يلي .

٢) المنارة سنة ١٩٣٦ ص ٢٥٨

وارجع القارئ الى مجلة المنارة التي استند اليها في هذه الرواية في سنتها[1] ص٢٥٨.

وبعد ان ذكر الخوري مخايل القرطباوي الذي ارسل الى رومة سنة ١٦٩١ ورجع الى بلاده سنة ١٧٠٤ وصار كاهناً على رعية بيروت وحضر المجمع اللبناني، لا نعرف كيف توصل الى النتيجة التالية :

« مما يحق ان الخوري مخايل فاضل البيروتي الداقوري هو غير الخوري مخايل القرطباوي خادم بيروت . . . لكن القس غسطين لغاية في النفس خلط الاثنين معاً فغير وحرّف ووصل بينهما بسلسلة انساب العربية المزعومة وخلق منها شخصاً عجيباً بلغ من العمر اكثر من ١١٥ سنة وجعل يوسف اسكندر ومخايل فاضل ومخايل القرطباوي من بيت السختي امرته[2] . . »

ونحن نجيب :

اولاً : اننا لنعجب من تحامل الخوري بشعلاني على القس غسطين لاننا لم نجد اثراً « للتغيير والتحريف » المنسوب اليه، فهل لان الخوري المذكور كان يكتب احياناً اجاز لنفسه اعتقاد من يكتب لاول مرة ببساطة واخلاص نية لظنه اياه عاجزاً عن الجواب !

اما القس غسطين فكان جل استناده في كلامه عن البطريرك فاضل الى الرسالة التي وجهها اليه القس مبارك صقر الانطوني وسنأتي على نشرها في آخر هذا الدرس .

ثانياً : ورد في الروايات السابقة عن مخايل فاضل ما لا اساس له كقول الخوري لويس الهاشم انه كان كاتب اسرار البطريرك سمعان عواد — فهو لم يكن حيناً كذلك، كما سيتبين من الوثائق، وان كان هذا البطريرك يعهد اليه بامور هامة كفحص الخلاف بين الرهبان وزيارة مؤسسة هندية زيارة قانونية — وورد فيها من التباين ما يدل على انها لا تستند الى مستند واهن : فالاب حرفوش يجعل رسامة فاضل كاهناً في ١٣ تموز سنة ١٧٤٠ والبشعلاني يجعلها في ٢١ تموز من تلك السنة كما يجعل استلامه دير حراش في سنة ١٧٥٩ بدلاً من سنة ١٧٥٨، على قول الاب حرفوش — فاين الحقيقة والى اي المصادر يستند الكاتبان ومن نصدق منهما ؟

---

١) تاريخ الامر المارونية — المشرق — اذار نيسان سنة ١٩٥٣ ص ٢١١

٢) في المحل المذكور ص ٢١٢

ثالثاً : لم يذكر احد منهما ولا الخوري لويس الهاشم اسم والد الخوري مخايل القرطباوي وجده تهرباً من الحقيقة لانهم لو ارادوا التقصي وقول الحق لوجدوا ان اسم ابيه هو موسى واسم جده هو فاضل فكتبوا كأن لا اب له ولا جد حتى يجعلوا الخوري مخايل فاضل غير الخوري مخايل القرطباوي الذي يرجع نسبه الى مالك الغيث فقدم العاقورا[1] .

رابعاً : لم يرسل الى رومة تلميذ باسم مخايل فاضل بل باسم مخايل القرطباوي .

فقد ذكر تاريخ تلامذة المدرسة المارونية في رومة :

في سنة ١٦٩١ وصلوا الى المدرسة خمس تلاميذ صحبة الاب بطرس مبارك الغوسطاوي . . .

والخامس مخايل القرطباني وهذا من بعد ما خلص من الفلسفة واللاهوت رجع الى بلاده وبسبب انه كان رجلاً عالماً وعابداً كل ارفاقه كانوا راضين منه وشاكرين جداً .

(المنارة ١٩٣٦ ص ١٩)

. . . وفي سنة ١٦٩٤ رباتية جاء الى المدرسة واحد يسمى يوسف ابن جرجس الماروني وهذا من بعد ما خلص علم الفلسفة كان نارياً ان يصير يسوعي مثل اخيه ولكن عادت تغيرت الاحوال ورجع الى بلاده سنة ١٧٠٤ صحبة الشماس مخايل القرطباني الذي كان رفيقه في المدرسة .

(المنارة-١٩٣٦ ص ٢٠)

ولدى مراجعة اسماء تلامذة المدرسة المذكورة الذين ذكرهم البطريرك الدويهي في نبذة خاصة نشرها الاب لويس شيخو (في كتابه « الطائفة المارونية والرهبنة اليسوعية » سنة ١٩٢٣) واسماء التلامذة الذين ذكرهم المونسنيور نعمة الله عواد نقلاً عن المخطوط ٤١٠ سرياني من مكتبة الفاتيكان حتى سنة ١٧٢٠ .

(المنارة سنة ١٩٣٥ و ١٩٣٦)

وممن ذكروا فيما بعد ، يتبين انه لا يوجد اسم « مخايل فاضل » بين تلامذة

---

١) تاريخ العاقورا ص ٢٢٨ ونبذة تاريخية للقس يوسف اسكندر القرطباوي نشرت في خواطر الجنان للقس غسطين سالم ١٩٣٩ ص ١٢٧ وما يلي .

رومة . فلا نعرف كيف جعل بعضهم هذا الاسم مستقلًا عن اسم الخوري مخايل القرطباني ، الثابت ارسالة الى رومة ورجوعه منهـا وكان خوري رعية بيروت وحضر المجمع اللبناني ، ولا كيف اخترعوا تاريخ رجوعه من رومة «دون تاريخ ارساله اليها ، مع ان تلامذة رومة مذكورون باسمائهم فردًا فردًا مع تاريخ ارسالهم واحيانًا مع تاريخ رجوعهم الى الوطن .

خامسًا : ان الخوري بشعلاني ، كالاب حرفوش الذي استند اليه ، لم يذكر تاريخ ارسال مخايل فاضل الى رومة لانه لم يرسل في التاريخ الذي يتفق مع تاريخ رجوعه المحدث او المفترض سنة ١٧٤٠ بل ارسل قبل ذلك سنة ١٦٩١ . الا ان البشعلاني قد اخذ عن الاب حرفوش ان مخايل فاضل رجع من رومة في ٢٤ حزيران سنة ١٧٤٠ ولكي يوفق لكلامه مع هذا التاريخ افترض له تاريخ ولادة فقال انه « ولد في بيروت حوالي سنة ١٧١٠ على الاصح » . فما هو هذا الاصح واين هو تاريخ الولادة ومن ارسل فاضل الى رومة حتى رجع سنة ١٧٤٠ ؟ ، فكلامه ليس الا على التقدير والتخمين لان لا مستند له .

اما قول الاب حرفوش انه رجع من رومة سنة ١٧٤٠ بناء على مفكرة البطريرك مسعد فلا اساس له ، ولا نظن ان البطريرك المذكور كتب ذلك ولا مستند لديه عليه بل اراد ان يكتب عن الخوري مخـايل القرطباوي الثابت ارساله الى رومة ورجوعه منها ، وقد حصل غلط في هذا التاريخ اما من البطريرك كاتب المفكرة (التي لم نعثر عليها بعد جدّ التفتيش) على عجل واما من ناقلها الاب حرفوش ، لان الذي رجع من رومة هو الخوري مخايل (فاضل) القرطباوي في ١٤ حزيران سنة ١٧٠٤ . وقد اخطأ الناسخ بوضع الصفر قبل ٤ فصارت سنة ١٧٠٤ سنة ١٧٤٠ وصار ١٤ حزيران ٢٤ حزيران ، وذلك ثابت من جواب الاب حرفوش للقس غسطين عن سبب هذا الغلط فنسبه حرفوش الى البطريرك ، والاصح انه من حرفوش ، كما كان يحدث له احيانًا لتسرع في الكتابة . ومن ذكر شهر حزيران عينه دليل على الغلط في السنة .

وهكذا قد انهار الاساس الذي بنى عليه البشعلاني في نظريته في الموضوع. وسترى نص الجواب في آخر هذه المقالة .

اما سبب الغلط في ذكر رسامة فاضل سنة ١٧٤٠ فهو ان البطريرك يوسف

الحازن رقاه في تلك السنة الى رتبة برديوط وارسله الى عكا، كما سيجيء في رسالة القس مبارك صقر للقس غسطين سالم، فحصل الخلط بين تاريخ الشرقية الى البرديوطية وبين تاريخ الرسامة الكهنوتية .

فما تقدم يتجه انه لم يرسل الى رومة تلميذ باسم مخايل فاضل بل ان حامل هذا الاسم هو نفسه الخوري مخايل القرطباني، الذي كان يوقع امضاءه اولاً منسوباً الى بلدته قرطبا . ثم عاد ينسب ذاته الى جده فاضل، وهذا غير مستغرب اذ ترى ان اكثر التلامذة المرسلين الى مدرسة رومة كانوا ينسبون الى قريتهم دون ذكر نسبهم العائلي، كعادة تلك الايام — او كان يوقع امضائه هكذا « الخوري مخايل خادم مار جرجس بيروت سنة ١٧٤٤ » بدون ذكر قريته او جده حتى بعد رسامته التي يدعون حصولها سنة ١٧٤٠، على ما سترى قريباً — فهل هذا مخايل ثالث مستقل عن الاثنين السابقين ؟ وكيف نحل المعترضون عن هذا الاستنتاج ؟

سادساً : ومما يزيد هذه النتيجة تأكيداً ما كان عليه الخوري مخايل فاضل من العلم والشهرة والدور الذي لعبه في احوال الطائفة :

١ : فلقد ذكرنا ما وصفه به الخوري لويس الهاشم .

٢ : وترى في تاريخ الرهبنة اللبنانية المارونية للاب لويس بليبل (المطبوع سنة ١٩٢٤) توقيع « الخوري مخايل خادم مار جرجس بيروت » على فتوى صادرة سنة ١٧٤٤ منه ومن بعض اساقفة ورؤساء رهبانيات الفرنج بخصوص خلاف الرهبان والبطريرك سمعان عواد (٢٠٢ ص ٤٦) .

وترى في ص ٥١ فتوى، بخصوص خلاف الرهبان، من بعض الرهبان اللاتين، مذيلة هكذا :

« انا مخايل فاضل مرسل رسولي وقفت على اسباب ودعاوي الفريقين من الرهبان اللبنانيين من خصوص مجمعهم العام ورأيت كما احكم بالرب بان الحق لهم كما ذكر اعلاه » .

وفي ص ٧٤ جواب من « الحقير مخايل فاضل مرسل رسولي » الى الرئيس العام الاب يواكيم حاقلاني » الذي كان قد طلب ليستشيره في امر المجمع الرهباني المنوي عقده وبه يعتذر فاضل عن الحضور ويوصي الرئيس العام بان يعقد المجمع في حينه ويترجى البطريرك سمعان « بان يحضره باقنومه بموجب الحكم الرسولي

وان ما شاء . ولا يحق لاحد الروسا . دونه ان يدخل الى محاكمكم او يتداخل باموركم لانه ضد القوانين الوهبانية والفرائض الكنايسية » .

حرر في قرية حباع في ٢٦ ت ١ سنة ١٧٤٧

وفي ص ١٦٣–١٦٥ براءة رسولية تاريخها ٧ ايلول سنة ١٧٥١ مترجمة عن الاصل بقلم الخوري مخايل فاضل المرسل .

وله ترجمات تحاريز وبراءات أخر من الكرسي الرسولي (ص ٢٠٤–٢٢٢) وغير ذلك . . .

ومن المهام المعتبرة التي اسندت اليه ما جاء في « الاصول التاريخية » :

« منذ بدأت ثورة المرسلين الاجانب على هندية والبطريرك سمعان عواد واحبار الطائفة المارونية انفذ صاحب الغبطة الخوري مخايل فاضل الملفان في اللاهوت زائرًا بطريركيًا الى دير بكركي ليتفقد شؤون مؤسسته ورهبانه ويرفع خلاصة زيارته الى البطريرك لينظر فيها » .

الاصول التاريخية للاب بولس مسعد والشيخ نسيب وهيبه الخازن ص ٣٧١ المجلد ١ الجزء ٦) .

وقد اتم الخوري مخايل مهمته بكل نشاط في حزيران سنة ١٧٥٠ وسطر رسالة مطولة في الموضوع تبتدئ هكذا :

« من الفقير والحقير اليه تعالى نقولا وجسًا مخايل فاضل بنعمة الله القس الانطاكي خادم اسرار سيدنا ومخلصنا يسوع المسيح بغير استحقاق ورسول بيعته المقدسة الرومانية الى جميع الرؤساء والآباء المكرمين » .

وفي آخر الرسالة تثبيتها من البطريرك سمعان باعلام جاء فيه :

لقد وقفنا على هذه الرسالة ولدنا العزيز وقاصدنا الخوري مخايل فاضل المكرم . . . ولثبات ذلك اثبتناها بساطاننا وسجلناها باسمنا وختمنا » .

تحريرًا في غرة شهر اب سنة ١٧٥٠ وهي السنة السابعة لبطريركيتنا .

† ارحم يا فضل الافاضل عبدك مخايل فاضل

الخوري مخايل فاضل ملفان لاهوتي ومرسل رسولي وقاصد وفاحص من قبل السيد البطريرك الكلي الاحترام عفى عنه تعالى » .

(الاصول التاريخية ص ٣٦٠–٣٧٨)

وقال صاحب مختصر تاريخ لبنان :

« وقام بعد البطريرك يوسف اسطفان البطريرك مخايل فاضل من بيروت ولزود عليه نكن بكوكب الشرق » (ص ١٠٩) .

اما قوله من بيروت ، فلانه كان خوري بيروت ثم مطرانها .

هذا وان كل ما ذكر عن الخوري مخايل فاضل وما اطلق عليه من الالقاب لا ينطبق الا على الخوري مخايل القرطباوي الذي جاء عنه في تاريخ تلامذة مدرسة رومة :

« ويثبت انه كان رجلاً عالماً وعابداً كل ارفاقه كانوا راضين منه وشاكرين جدا » .

والذي حضر المجمع اللبناني كاحد اللاهوتيين المشرفين في الطائفة ، ولو لم ينتسب اولاً الى جده فاضل .

سابعاً : « وان بقي من ريب في الامر عند البعض فالبرهان القاطع هو في ما كتبه البطريرك مخايل عن نفسه ونسبه في كتابه « كمال الاشتمال في الاماكن والعيال » .

ذلك وغير خاف علينا ما كتبه الخوري البشعلاني (المشرق عدد آذار — نيسان سنة ١٩٥٣ ص ٢١٢) : « ان هذا الكتاب هو كالقول والنقاء والخجل الوفي » ، اي لا وجود له — ولكن هذا قول احتياطي لا مستند له ، وهل يكفي ان يكون صادراً بدون سند عن الكاهن المذكور ، او نقلاً عن الاستاذ عيسى المعلوف كما يدعي ، حتى يعتبر كحقيقة راهنة . فقد اسند زعمه الى انه لا يوجد اثر لهذا الكتاب لا في دير حراش حيث كان مؤلفه ولا في خزائن البطريركية حيث نقلت مخطوطات هذا الدير » . فهل هناك شيء من المنطق وهل عدم وجود كتاب في دير او في خزانة برهان على ان هذا الكتاب غير موجود ، وهل ضياع كتاب برهان على انه لم يوجد اصلاً ، وكم من كتب مفيدة مفقودة ؟ بيد انه يوجد من مطلع هذا الكتاب ونسخه او اخذ عنه ، فها ان المرحوم القس مبارك يمقر الانطوني ، وهو معروف بالفهم والرصانة يقول صراحة انه نقل الكتاب على دفاتر عنده ، كما جاء في رسالة منه الى القس غسطين سالم عن انطوش حوش حالا بتاريخ ١٤ آذار سنة ١٩٢٧ (نشرت بالطبع في بالطبع في « خواطر الجنان » للقس غسطين المذكور في ص ١٤٦ — ١٥١) قال :

« ابدي وصل الينا عربر تحريركم الذي به تطلبون منا افادة عن حياة السيد المكرم العلامة البطريرك عايل فاضل الخ افيدكم عنه باختصار نقلاً عن كتابه « كمال الاشتمال في الاماكن والليال » ص ١٨٤ الذي نسخته على دفاتر محفوظة عندي في مكتبتي التي في انطوش دير يوسف زحلة ، يوم كنت مقيماً في دير مار اشعيا بعبدات سنة ١٩١٣ ، اذا تذكرتم ذلك ، وكان هذا الكتاب المخطوط في الخرف الكرشوني موجوداً في مكتبة الدير المذكور . . . »

فهذا الاب يصف الكتاب كرجل مدقق ويذكر محتوياته . . . ومنها خلاف فاضل مع البطريرك يوسف اسطفان مع ابرشية بيروت وعرائض عديدة بهذا الشأن ، ونسب البطريرك . وخبر موته الذي كتبه القس نوهرا ضو مرشد راهبات دير حراش ، وهو يصرّح بانه نسخه ويذكر سنة النسخ ، ويذكر القس غسطين باقامته اذ ذاك بدير مار اشعيا — فهل يجوز لاحد ان يشك في ما كتبه هذا الراهب الفاضل المتزن ، في وقت لم يكن ليظن ان الاب بشعلاني سينكر وجود الكتاب الذي كان بين يديه ، وقد كتب ولا دافع له ، ايأ ما كان الى اختراع مثل هذا الامر الذي ذكره بكل بساطة ونزاهة .

ولكن ما لا يجوز لاحد قد جاز للمعترض ! — ومما يزيد في غرابة هذا القرن انه طالع في « خواطر الجنان » الذي ذكره وانتقده ، رسالة القس مبارك المنشورة فيه فكان عليه ان ينقض لكلام الكاتب بالبرهان السديد قبل ان يقول ان كتاب « كمال الاشتمال » خرافة — وان نعجب لشيء . فلجرأة بعض الذين يقيسون نفوسهم عفواً معلمين وابية للبشرية ، ولله في خلقه شؤون !

هذا ، وان ما ورد في رسالة القس مبارك من التفاصيل والظروف الدقيقة عن نسب وحياة البطريرك المذكور ، نقلاً عن « كمال الاشتمال » لا يمكن ان يستنبطه احد اياً من كان ولا ان يعرفه الا البطريرك نفسه .

وفوق ذلك فان المعترض يقول ايضاً في مقالته السابقة الذكر :

« وذكر تلميذنا القديم الاستاذ اميل حبشي تاريخ فاضل في كتابه « جهاد لبنان » ص ٣٤٨ قال : انه اعتمد في روايته عن اصل اسرته « البيت الاشقر » على اوراق دير مار اشعيا وعلى تاريخ فاضل المذكور وسألناه عن هذا التاريخ فاخبرنا ان والده انشأ نبذة عن اسرته نقلاً عن كتاب « كمال الاشتمال » من الصفحة ١١٨ » .

فهل الاستاذ حبشي او والده الذي اخذ نسب اسرته من الكتاب المذكور

من ص ١١٨ لا يصلح شاهداً على وجود هذا الكتاب ، وان لم يُعثر عليه فيما بعد في دير حراش ولا في خزانة بكركي ، وهل شهادة القس مبارك والاستاذ حبشي غير كافية للاثبات ، مع العلم انه على فم اثنين او ثلاثة تقوم كل شهادة — وكيف بعد هذا جاز للاب بشعلاني ان يقول ان هناك خرافة ! .

هذا وقد سألنا الاستاذ حبشي عن رأيه في ما جاء عنه وعن والده بشأن كتاب « كمال الاشتمال » فاجابنا بتاريخ ٢٤ ايلول سنة ١٩٥٧ مؤكداً وجود الكتاب ومستغرباً كل الاستغراب ما ادعاه اعتباطاً البشعلاني وعيسى المعلوف ومنشر الخوري في آخر مقالتنا هذه .

اما اذا كان المعترض قد استغرب ، كما ذكر ، ان يعيش البطريرك المذكور ١١٥ سنة فذهب الى ما ذهب اليه بدون سند ، فهذا الحادث غير مستحيل وغير مستغرب ، اذ كم كان يعرف هو وكم نعرف نحن وغيرنا من الذين تجاوز عمرهم مائة سنة : فالخوري لويس الهاشم قد ذكر عن المطران جرجس خيرالله اسطفان مطران الماقورا ما يلي :

« استأثر الله به في ٩ كانون الثاني سنة ١٧٣٣ وله من العمر مائة وخمس سنوات » .
(تاريخ الماقورا ص ٢٢٦)

وذكر ايضاً في كلامه عن اسرة جمعه في منجز عكار :

« وكان منها الخوري مخايل ملحم الذي عمّر نحوًا من ١١٥ سنة وكان منادماً قريبة منجز » . (المحل المذكور ص ٣١٩)

وقال الدويهي في تاريخ سنة ١٥٢٤ :

« وقضى نحبه ايضاً البطريرك شمعون بن دارد المعروف بابن حسان الحدثي وكان عمره تيفاً وعشرين سنة » . (طبعة شرتوني ص ١٥٦)

ثم الم تذكر صحف العالم ان اناساً عاشوا ما فوق ١٢٥ ، في الهند مثلاً وفي روسيا . وقد ذكرت الصحف حديثاً ومنها « الجريدة » في العدد ١٤٣٤ بيروت ٢٧/٨/١٩٥٧ ما يلي :

« معمّر ١٥٦ سنة يموت من الجوع في البرازيل : أعلن في سان بولو ان مانويل دوريجو كرتنهو الذي كان يحتفظ بشهادة ميلاد تثبت انه ولد في اول اوكتبر سنة ١٨٠١ قد وُجد اليوم ميتاً في الغرفة التي يقطنها ، وقال قريب للمتوفى كرتنهو ان عمره ١٥٦ سنة وانه مات من الجوع » .

واذا كان الله قد منّ على البطريرك فاضل بعمر مديد ، فذنبه هو وما شأننا نحن ؟

وعلى كل ففي كتاب « كمال الاشتمال » كتابة من القس نوهرا ضو مرشد راهبات دير حراش الذي مات البطريرك بين يديه تفاصيل موته « عن عجز طبيعي في سن ١١٢ سنة على ما ستري في رسالة القس مبارك صقر ، وفيها الجواب الشافي وفصل الخطاب في الموضوع.

ولا يسعنا ان ننهي هذا المقال ولا نبين ما كان للمطران مخايل فاضل من الايادي البيضاء على ابرشية بيروت: فلقد سبقنا وذكرنا تجديده لكنيسه بيروت القديمة — ثم انه في ٢٥ نيسان سنة ١٧٩٠ انشأ وقفية من املاكه في بيروت اي سبعة اقبية معقودة بالحجارة وبيت صغير ودارة صغيرة على كنيسة مار جرجس لاجل قيام مدرسة لعلم الاولاد — ومما جاء في صك الوقف ما يلي :

« وكري المعلم ومعاشه من الاجار المذكور الصامد ولاجل ذلك لا يطلب المعلم من الاولاد ولا من اهاليهم شيئاً لاجل علمهم بل بكل اجتهاد يعلمهم القراءة والكتابة سريانياً وعربياً ومخافة الله والتعليم المسيحي . . . واذا كان المعلم كاهناً لا نسمح له بان يتعاطى في خدمة الرعية ويغادر المدرسة . . . ولا نسمح ولا نأذن بالرب ابداً بان الوقف المذكور يبتاع او يرهن او يتغير باي نوع كان بل يمكث وقفاً سالماً ، مؤبداً لاجل قيام ونبات المدرسة المذكورة . . . »

(السجل البطريركي ٣ ص ١٠—١١ ومجلة المنارة سنة ١٩٣٩ ص ٢٧٠-٢٧٣)

وبهذا القدر كفاية .

رسالة القس مبارك صقر للقس غسطين سالم

حضرة الجليل الفاضل والمؤرخ النقيب القس اغوسطين سالم السخن القرطباوي الجزيل الاحترام .

بعد تقبيل يديكم بمزيد الشوق والاحترام وطلب دعاكم الصالح . . . ابري وصل الينا عزيز تحريركم وبه تطلبون منا الافادة عن حياة السعيد الذكر العلامة البطريرك مخايل فاضل .

افيدكم عنه باختصار نقلاً عن كتابه كمال الاشتمال في الاماكن والميال ص ١٨٤ الذي نسخته على دفاتر محفوظة عندي في مكتبتي التي في انطوش مار

يوسف زحلة .. يوم كنت مقيماً في دير مار اشعيا بعبدات سنة ١٩١٣ اذا تذكرتم ذلك . وكان هذا الكتاب المخطوط في الحرف الكرشوني موجوداً في مكتبة الدير المذكور .

ان البطريرك مخايل فاضل مؤلف كتاب كمال الاشتمال في الاماكن والعيال هو ابن الشيخ موسى بن فاضل السخني القرطباوي العاتوري الاصل الذي مات في قرطبا في ١٩ شباط سنة ١٦٩٤ ب م ابن جرجس بن مخايل بن اسعد بن مالك اليمني مقدم العاتورا ابن ابي النيث بن عبدالله بن غيث بن يزيد بن سالم ابن صادق بن شبل ابن غصيبة بن جهجاه بن دياب العاتوري بن زيد الخ . . .

تزوج والده الشيخ موسى بن فاضل منيرة بنت انطونيوس بن الشيخ عزيز السخني القرطباوي بن نصرالله العاتوري قرابته في ٩ كانون الثاني سنة ١٦٣٠ ب م وولد مخايل في قرطبا في ٣ آذار سنة ١٦٨٣ ب م[1] . وارسله السعيد الذكر البطريرك اسطفان الدويهي الى مدرسة رومية مع القس بطرس مبارك الغوسطاوي في ١٥ ايلول سنة ١٦٩١ ب م وكان عمره ثماني سنوات ومن رفقائه الى مدرسة رومية بشاره البشراني وسركيس الحجري الاهدني وعبدالله البشراني وجرجس من اردة . وكان ذلك بواسطة ابن عمه القس يوسف ابن الشيخ اسكندر السخني القرطباوي الذي كان يازجي عند غبطته ومكث مخايل في مدرسة رومية ١٣ سنة . وبعد ان درس قواعد اللغة العربية والافرنسية واللاتينية والفقه والفلسفة واللاهوت النظري والادبي الخ . . .

رجع الى بيروت ووصل اليها في ١٥ حزيران سنة ١٧٠٩ ب م ثم ذهب من بيروت الى دير سيدة قنوبين لكي يزور قبر ابن عمه المرحوم القس يوسف الذي مات بالطاعون في ٢٠ ايار سنة ١٦٩٣ ب م فامسكه السعيد الذكر البطريرك جبرايل البلوزاوي عنده وعينه كاتباً لاسراره ولما توفي هذا البطريرك

---

١) اما زواج والده في سنة ١٦٣٠ فيمكن ان يكون مغلوطاً فيه بالنسبة الى تاريخ ولادته في سنة ١٦٨٣ اذ تكون الولادة ٥٣ سنة بعد الزواج — وبما ان المخطوط الذي اخذ عنه القس مبارك مكتوب بالكرشوني والتالي تاريخ الزواج فقد يكون قرأ حرف اللام الذي يوازي ٣٠ بحساب الجمل بدلاً من حرف الدين الذي يوازي ٧٠ لانهما متشابهان ولا فرق بينهما الا ان حرف الدين اقصر من حرف اللام فكتب ١٦٣٠ = ١٦٧٠ بدلاً من ١٦٧٠ = ١٦٣٠ والله اعلم .

في ٣١ تشرين الاول سنة ١٧٠٥ ب م وخلفه السعيد الذكر البطريرك يعقوب عواد الحصروني عزله من وظيفته ورجع الشماس مخايل فاضل المذكور الى بيروت واقام في بيت والده الشيخ موسى . . .

ثم عينه الامير بشير الشهابي الاول مدير الامير حيدر الشهابي قاضي شرع في صيدا في ٢١ كانون الاول سنة ١٧٠٦ ب م وفي ٢٥ من نيسان سنة ١٧١٠ ب م رسمه كاهناً السعيد الذكر البطريرك يوسف مبارك الويفوني على مذبح كنيسة مار جرجس بيروت وعينه خوري رعية فيها وكان الخوري مخايل فاضل . . اول المخاصمين للبطريرك يعقوب عواد الحصروني في حطه وعزله عن الكرسي البطريركي وكان يستعين باقاربه بيت السخن واسر قرطبا انسبائه واهالي العاقورة على امضاء وختم العرائض التي ارسلت على يده الى رومية في حط وعزل البطريرك يعقوب عواد الحصروني وتثبيت البطريرك يوسف مبارك الويفوني في الكرسي البطريركي الخ . . .

فكانوا اقاربه بيت السخن واسر قرطبا انسبائه واهالي العاقورة الحزب القيسي لا يلبون طلبه ورغبته الخ . . .

وهنا كتب الخوري مخايل فاضل . . في كتابه كمال الاشتمال في الاماكن والعيال بعض جمل مجحفة في حق اقاربه بيت السخن واسر قرطبا انسبائه واهالي العاقورا . . . معناها انه لا يريد بعد ان ينتسب اليهم ولا يتردد اليهم الخ . . .

هذا وفي ١٣ من ايلول سنة ١٧٤٠ ب م رقاه السعيد الذكر البطريرك يوسف ضرغام الخازن الى درجة بردياط على دير مار شليطا مقبس وفي ٢١ من ايلول من السنة المذكورة ارسله غبطته الى مدينة عكا وهناك شرع في الرسالة وعمر فيها كنيسة على اسم القديس مارون وعمر قربها انطوس على نفقة السعيد الذكر البطريرك المشار اليه وضمّ الطائفة الى طقسها الماروني بعد ان تشتت في الطقس اللاتيني وكابد من قبل ذلك اضطهادات وسجوناً واتعاباً شاقة والله نجّاه من جميعها وبعد ان نظم الطائفه هناك ورتب الكنيسة المذكورة في كافة ما يلزمها . . . طلبه من عكا السعيد الذكر البطريرك سمعان عواد الحصروني وكافة مشايخ عائلة اده انسبائه وكافة اعيان بيروت خطاً وختماً فحضر حالاً وكان ذلك في ٢٤ تشرين الاول سنة ١٧٤٤ ب م لاجل فحص

اسباب الخلاف الحاصل بين الرهبان الحلبيين والرهبان البلديين اللبنانيين الخ . . ولاجل خدمة الرعية في بيروت وتوسيع كنيسة مار جرجس في بيروت ، وفي سنة ١٧٥٤ تنصر الامير حيدر الشهابي على يده في بيروت وفي مدته جدّد عمار كنيسة مار جرجس بيروت بمساعدة الشيخ منصور والشيخ بطرس من ابنا. اده اقاربه في النسب ونظم لها هذا التاريخ التالي ورضعه جنب بابها الشمالي من داخل الكنيسة المذكورة برضاهم ورضى المطران يوحنا اسطفان الخ . . .

وهو يد المولى ببيروت اشادت كنيسة جرجس الشهم الماضل
وقد نمت فارخها يكدّ بكاهنها مخايل وابن فاضل
سنة ١٧٦١ ب م

وفي ١١ من حزيران سنة١٧٦٢ رقاه السعيد الذكر البطريرك طوبيا الخازن الى اسقفية بيروت وكان ذلك في كنيسة مار جرجس بيروت الجديدة بحضور المطران جرمانوس صقر الحلبي والمطران ارسانيوس الحلبي الخ . . وشعب غفير من الاكليروس والعوام وجعله نائباً للكرسي البطريركي ووكيلاً على دير مار يوحنا حراش وشرع سيادته في تهذيب وترتيب هذا الدير في الامور الروحية والجسدية حتى انه اغناه بعمله وسيرته الصالحة وفضائله السامية . وكانت الناس تأتي اليه من كل جهة لتسمع وعظه . . .

وقد خلص انفس عديدة من اسر الشيطان وردّ كثيرين الى الايمان وعتدهم وانفق عليهم اموالاً وافرة وربح نفوسهم حبًا بالله . . . وفي سنة ١٧٨١ تسلم تدبير ابرشية بيروت ولهذا التسليم شرح مسهب وعرائض عديدة في كتابه كمال الاشتمال في الاماكن والميال بين المطران مخايل فاضل . . . وبين البطريرك يوسف اسطفان مرسلة من المطران مخايل فاضل . . . الى رومية بخصوص ابرشية بيروت الخ . . .

وفي كتابه كمال الاشتمال المذكور نسب اسرته وقد اخذته قبلاً من مقدمة كتاب وفيق الواعظ لابن عمه المرحوم القس يوسف بن الشيخ اسكندر السخني. نسيكم واذا كان من لزوم له افدني حتى انسخه عن دفاتري وارساله لكم. وافيدكم ايضاً عما جا. في كتاب كمال الاشتمال المذكور بخط القس نوهرا ضر مرشد راهبات دير مار يوحنا حراش والحرف الكرشوني :

صح ان غبطة سيدنا وتاج روسا البطرك مخايل فاضل قرطباني صار معه قصر نظر وقلة سمع وضعف جسم زايد كثير وقطع الاكل خالص وكان صار عمره ميه واتنعشر سنة وفي اليوم السابع عشر من شهر ايار سنة الف وسبعماية وخمس وتسعين ميلادية توفي بدون مرض من قلة الاكل وقال موته الله يرحمه مشحته انا واعترف عندي وتناول القربان المقدس وبقي يقول يا يسوع ويا عذرا مريم تسلموا روحي حتى سلم الروح عند العصر.

وثالث يوم عند العصر صار دفنه قرب كنيسة الدير وترك على يدي الدير الفين قرش حسنة قداديس عن نفسه والف وخمسماية قرش طلعته الله يرحمه ويرزقنا بركة صلاته.

كاتبه

الفس توما ضو مرشد الاخوية

اتركوا عبارة موت السعيد الذكر البطريرك مخايل فاضل السخني . على علاتها . . .

هذا ما لزم بشأنه باختصار كلي مع كل خدمة تلزمكم . . . ولكن اني اوجه اليكم شديد الملامة لاجل ارسالكم لنا الدراهم مكافأة عن ذلك وفقكم الله في انجاز تاريخ وطننا قرطبا .

عن انطوش حوش حالا في ١٤ آذار سنة ١٩٢٧ ب م .

اخوكم

الفس مبارك حنا صقر من الدوار الانطونياتي

في (خواطر الجنان ص ١٤٩ وما يلي) .

جواب الاستاذ اميل حبشي للخور اسقف يوسف زيادة .

الليالي — مجلة التاريخ العربي.

بيت شباب في ٢١ ايلول سنة ١٩٥٧

صاحبها : اميل حبشي الاشقر

(بعد الترجمة)

هذا جوابي الان عما سألتم :

يقول المرحوم البشلاني في مقاله الذي نشر في المشرق « وقد جرى على الالسنة ذكر هذه المخطوطة « كتاب الاشتمال » الى آخره » فلماذا جرى ذكرها على هذه الالسنة ، واي شيء حمل الناس مع التحدث بامرها وهي لا وجود لها ؟ ... وقال :

« ذكر تلميذنا القديم الاستاذ اميل حبشي . . » نعم ذكرت ذلك ، وانا مؤمن بان « كمال الاشتمال » بعيد كل البعد عن الخرافة بدليل ان المرحوم ابي — الكاتب والشاعر — لم يكن — غبياً — . . عندما نقل عنه ما نقل ، ولم يخترع النبذة التي اخذها عنه اختراعاً وانما نقلها عن مخطوطة المطران فاضل — وهي محفوظة عندي بخطه في دفتر صغير — واما اني فتشت عن الكتاب في دير حراش وفي بكركي فلم اجده ، فهذا صحيح ولكن عدم العثور عليه في الديرين لا يجيز لنعيمي المعلوف ان يقول انه « كالغول والعنقاء والطل الرقي ». فاذا كان البشلاني والمعلوف لم يجداه ولم يضعا ايديهما عليه ، فقد وجده قبلهما يوسف حبشي ، وهو من ادباء جبيل ، منذ اكثر من ستين سنة ، والقس مبارك صقر الذي رآه واخذ عنه في دير مار اشعيا منذ اربع واربعين سنة اي سنة ١٩١٣ ، افليس من الجائز ان يمد لصوص الادب ايديهم الى كتاب له قيمته ليضموه الى كتبهم ، ثم يجيء آخرون فيأخذونه كما أخذ من قبل ، ولكثرة ما تناوره القوم وتداولوه ، او سرقوه ، ضاع واختفى اثره ؟ ؟

لقد رآه المرحوم والدي في حراش ، ثم رآه القس الانطوني ، بعد زمن ليس بالقصير في مار اشعيا افليس وجوده في الديرين ، في زمانين مختلفين ، دليلاً على ان كلمة المعلوف والبشلاني تقدير خاطئ ، او تهمة كاذبة . واية قيمة لكلمة جوفاء ، لا تستند الى دليل ، يرسلها صاحبها في ساعة ذهول . او ساعة غرور حكماً لا اخذ فيه ولا رد ! ؟ كأنه المرجع الذي تضعف عنه الحجة ويموت في جانبه الجدل ! ! افلا ترى ايها الاب المحترم ان في استنتاج البشلاني والمعلوف تكذيباً لرجلين معتبرين رأيا كتاب الاشتمال بالعيون والماء بالايدي . ان في هذا الاستنتاج الشيء الكثير من الجهل وقلة الذوق .

واقبلوا يا سيدي احترام ولدكم

اميل حبشي

جواب الخوري ابرهيم حرفوش للقس غسطين سالم .

حضرة الجليل الاب اغوسطين سالم الجزيل الاحترام :

بعد تأدية واجب الاعتبار الى حضرتكم نبدي وصلنا تحريركم بشأن مخايل فاضل . .

انه رجع من رومية في ٢٦ حزيران سنة ١٧٠٠ سنداً لرواية البطريرك بولس مسعد فهي مغلوطة كما جاء في مجلة المنارة السنة السابعة العدد الاول كانون الثاني سنة ١٩٣٦ في صفحة ٢٥٨ . وعليه افيدكم ان مخايل فاضل رجع الى بيروت في ١٦ حزيران سنة ١٧٠٦ من رومية . هذا وقد وردت روايات عديدة عن البطريرك بولس مسعد مغلوطة منها ما ورد في المنارة في السنة السادسة في عدد ايلول وتشرين الاول سنة ١٩٣٥ ص ٦٦٤ عن مجمع ضيعة موسى المنعقد في هيكل مودت مورا سنة ١٥٩٨ وان ضيعة موسى هذه في بلاد عكار سنداً لرواية البطريرك بولس مسعد فهي غير صحيحة ايضاً لان ضيعة موسى وهيكل مودت مورا الموجود للآن هما بين بقوقا وكفرصقاب .

فتنبه هذا ما لزم بشأنه مع كل خدمة تلزمكم وفقكم الله في انجاز تاريخكم وطبعه .

في بكركي في ١٦ شباط سنة ١٩٣٦

مسعد دعاكم

المنوري ابرهيم حرفوش